الدكتور
فضل حسن عباس

الجامعة الأردنية
كلية الشريعة - اصول الدين
تفسير

٥٠٢٥٠٦

دراسة نقدية لتفسير الخازن

إعداد الطالب
صدقي سليم مصطفى محمود

باشراف
الدكتور فضل حسن عباس

٦
١٨٦٥

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في التفسير
بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، واستغفره ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد :

منذ أن أكرم الله الانسانية بهذا القرآن العظيم الذي هو بحق وثيقة السماء الخالدة الباقية ، والمصدر والأساس لخير الانسانية بعامة ولهذه الأمة بخاصة ، تفاعلت هذه الأمة وبخاصة سلفها في خير القرون مع آياته وتعاليمه .

فالقرآن الكريم لا يمكن أن يحدث الأثر المطلوب في النفوس الا حينما يقبلون عليه ، ويتفاعلون معه ، ويقرأونه على أساس أنه كتاب من أهم صفاته ومميزاته أنه حركي عملي . فقد حظي المسلمون الأوائل بادراك هذه الظاهرة فوقفوا منه الموقف المناسب ، واذ بالأمة التي وصفت بالأمية التي عاشت لا تعرف الا الابل والصحارى أصبحت قادة وسادة تقود الأمم وتفتح الأمصار وتتحدث عن المعرفة في مدة وجيزة بفضل هذا القرآن الكريم ، لذلك رأيناهم علماء يقفون مع القرآن يتأدبون بأدبه ويكتبون من أجله فكانوا أئمة في البلاغة والأدب ، والعقيدة ، والفقه ، وسائر العلوم الاخرى . . . . ولشدة رغبتهم في عيشهم الحياة العملية للقرآن رأيناهم يروون عن الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيره فكان الواحد منهم قرآنا يمشي على الأرض ، فخلفوا لنا أمانة وعبئا لنقتفي أثرهم وننهج نهجهم . وعلى ذلك اذ أردنا أن نعيش مجد آبائنا وحياتهم فما علينا الا أن نتقرب من القرآن حتى يتقرب القرآن منا .

أما عن فكرة موضوع الدراسة ، فقد تكونت نواتها الأولى أثناء دراستي للمواد المطلوبة في سني الدراسات العليا بعد أن أوكل الي كتابة بحث

تفسير

صغير في مادة " مناهج المفسرين " عن الخازن من أحد مجلداته ، فوقفني البحث على قيمة هذا الموضوع ، ومنذ ذلك الوقت توجهت رغبتي إلى دراسة مناهج المفسرين ، وبعد اتمامي للمواد الدراسية المطلوبة ، اخترت موضوع رسالتي تحت عنوان " دراسة نقدية لتفسير الخازن " ، لأنني رأيت الكثيرين يتخوفون من تفسيره لمجرد ذكر اسمه بأنه " خازن " ظنا منهم بأنه خـــزن فيه من كل ما هبّ ودب ، فأحببت أن أقف على منهجه من خلال هـــذه الدراسة الموضوعية وان اذكر ما للرجل وما عليه ايجابا وسلبا ورائدي في هذا الوصول الى القيمة العلمية لالقاء الضوء على هذا التفسير ، حتى لا نبقـــى متخوفين متلجلجين ، بل نقبل عليه ونحن واثقون من كل ما يجب أخـــذه وما يجب تركـــه .

وقد جعلت رسالتي في تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما التمهيد فجعلته في تطور التفسير حتى عصر الخازن للوقوف علـــى مناهج المفسرين الذين سبقوه ورأيت أن هذا التمهيد يساعد على تحديـــد منهج الخازن بين مناهج المفسرين وبخاصة أن مناهج التفسير المختلفة قـــد اكتمل بنيانها تقريبا الى عصر الخازن .

وأما الباب الأول : فقد جعلته في بيئة الخازن وعصره وحياته ومصنفاته وهو في ثلاثة فصـــول .

الفصل الأول : في بيئة الخازن وعصره ، وقد تكلمت فيه عن الناحية السياسية ، والاجتماعية ، والعلمية ، واكتفيت باعطاء دراسة سريعة لهـــذه الجوانب بما يتناسب وموضوع البحث فقد أوجزت الكلام عن الناحية السياسيـــة التي كانت سائدة آنذاك في عصر المماليك والهجمة الشرسة التي تعرضـــت لها بلاد المسلمين آنذاك من قبل المغول والتتار القادمين من الشرق والصليبية الحاقدة الاتية من الغرب . أما الناحية الاجتماعية فقد أبرزت فيها ضنـــك المعيشة التي كانت سائدة من جراء الحروب والثورات والزلازل والكـــوارث

التي حلت بتلك الشعوب . وأما الناحية العلمية فقد تمثلت في يقظة هذه الأمة ازاء التحديات المسعورة من قبل المغول والصليبيين فتمخضت عنها الحركة العلمية التي عمت مختلف المجالات واستطاعت هذه الأمة أن تثبت نجاحها في اجتياز هذه المحنة التي شنها عليهم عدوهم .

الفصل الثاني : في حياة الخازن . وقد ذكرت في هذا الفصل كل ما يتعلق باسم ونسب ولقب هذا الامام وهو علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل الشيحي ، البغدادي ، الصوفي ، الشافعي ، الشهير بالخازن ، وذكرت أن مولده ببغداد سنة ٦٧٨ هـ ، ووفاته في حلب سنة ٧٤١هـ .

وتحدثت في هذا الفصل عن نشأة الخازن وعقيدته ومذهبه وبينت أنه سلفي في عقيدته ، وشافعي في مذهبه ، وما قيل في صفاته وأخلاقه وذكرت أن الرجل كان صوفيا زاهدا ورعا بعيدا عن ملذات الدنيا وقانعا بنعمة العلم والعبادة وهذا ما لمسناه من خلال تفسيره لبعض الآيات المتعلقة بهذه الجوانب .

الفصل الثالث : جعلته في شيوخ الخازن والتعريف بأشهرهم وفي مصنفاته . وقد تحدثت في هذا الفصل عن شيوخ الخازن وترجمت لثلاثة من أشهرهم وذكرت في هذه الترجمة اسم الشيخ ولقبه وكنيته ، وسني ولادته ووفاته وأقوال العلماء فيه الى جانب ذكر المراجع التي رجعت اليها في الترجمة وأبرزت أهم مصنفاته التي تركها في علوم الشريعة الاسلامية سواء ما كان منها في التفسير والحديث ، والفقه ، والسيرة النبوية .

الباب الثاني : وقد جعلت الباب الثاني في تفسير الخازن ومنهجه وكان أوسع الأبواب وأهمها ، وفيه أحد عشر فصلا .

الفصل الأول : وهو في مقدمة الخازن وما جاء فيها ، وذلك تمهيدا للكلام على منهج الخازن في تفسيره ، وبينت منهجه وعمله كما هي عادة المفسرين .

الفصل الثاني : " مصادر الخازن في التفسير " التي اعتمدها في تأليفه لتفسيره وعرجت على مصادر البغوى التي اعتمدها الخازن مضافا اليها ما ذكره الخازن من كتب التفاسير المصنفة وكتب الأخبار وكتب الحديث النبوى الزائدة عن الكتب المعتبرة . وأقوال المتصوفة من العلماء وأهل اللغة .

الفصل الثالث :

أ ـ في طريقة الخازن العامة في التفسير وبسطت القول فيه وذكرت بأنه كغيره من المفسرين لم يلتزم بقاعدة مطردة في أسلوب تفسير الآيات القرآنية وذكرت كيفية تناوله للجوانب الأخرى من اللغة وأقوال المفسرين ، والقصة والعقيدة والفقه والوعظ وغيرها .

ب ـ منهج الخازن في التفسير بالمأثور في الكتاب والسنة وبينت أن تفسير القرآن بالقرآن يعد من أعلى درجات التفسير بالمأثور وذكرت منهجه في تفسير القرآن بالقرآن ومنهجه في تفسير القرآن بالمأثور عن الرسول وبالمأثور عن الصحابة والتابعين .

الفصل الرابع : وشمل النقاط التالية :

١ . آراؤه في المعرب من القرآن وبينت أن الخازن لم يكن موفقا في عرضه لهذا الموضوع وناقشته فيه ورجحت المناسب في الموضوع .

٢ . اللغة في تفسيره وقد درست اللغة في تفسيره وبينت مكانتها والجانب الذى ركز عليه الخازن منها وتوصلت بأن اللغويات كانت قليلة في تفسيره .

٣ . عرضت للنحو والاعراب في تفسيره .

٤ . البلاغة في تفسير الخازن .

٥ . معرفته في القراءات وطريقته في عرضها وتوصلت بأن الخازن كان مقلا منها .

الفصل الخامس : وبحثت فيه النقاط التالية :

١ . نقولاته العامة والمهمة وذكرت بأنه كان كثيرا ما يبهم في نقولاته عن المفسرين .

٢ . نقولاته عن المفسرين وبينت أن الخازن توج تفسيره بكثير من نصوص المفسرين أمثال الطبري والزمخشري والرازي وغيرهم وأتيت بأمثلة على ذلك وتوصلت الى أنه كان ينقل عن بعضهم دون أن يشير الى ذلك .

٣ . موقفه من الأقوال المختلفة وترجيحه بعضها على بعض : وقد بينت أن الرجل كان صاحب شخصية مميزة في ترجيحه بين الأقوال وذكرت أهم قواعد الترجيح التي اعتمدها عند المفاضلة بين الأقوال شافعا لها بأمثلة من تفسيره .

٤ . جمعه بين الآيات وايراده بعض الاشكالات لحلها .

٥ . موقفه مما ظاهره التكرار في كتاب الله .

٦ . المناسبات بين الآيات في تفسيره .

الفصل السادس : وقد تكلمت فيه عن اهتمامه بالمواعظ وترقيق القلوب وخلصت الى أن الخازن امتاز بهذا الأمر بما دبجته قريحته ونمقه بأسلوبه الوعظي الذي خدم به هذا الغرض . وقد ذكرت المظاهر الوعظية التي عرض لها في تفسيره وشفعتها بالأمثلة التوضيحية . وقد تكلمت في هذا الفصل كذلك عن اهتمامه بالأخبار التاريخية وتوسعه بذكر أحداث السيرة والغزوات وفق ما جاءت به الآيات القرآنية وتوصلت بأن عرضه هذا جاء به تمشيا وخدمة لنزعته الوعظية .

ودرست في هذا الفصل اظهاره لبعض القيم والأحكام التي انطوت على بعض القيم والاتجاهات السلوكية ولمست من خلالها حرصه الكامل على انجاح منهجه الوعظي .

الفصل السابع : في منهجه العقدى وبينت من خلاله أهم القضايا التي ركز عليها كرؤية الله ، وعصمة الأنبياء ، وخلق الأفعال والرد على الفرق وآيات الصفات وغيرها وخلصت الى أن عقيدته كانت عقيدة أهل السنة

الفصل الثامن : في عنايته بالأحكام الفقهية وذكرت بأنه أولى الأحكام الفقهية عناية خاصة ، الا أنه أطال بذكر الفروع الفقهية اطالة خرجت به عن الغرض الأصلي .

الفصل التاسع : خصصته للحديث عن الخازن والاسرائيليات وقد توسعت في بحث الاسرائيليات نظرا لما اشتهر عن الرجل بذكره للاسرائيليات فيه وبخاصة في مجال القصص فتعرضت لتعريف الاسرائيليات وتحدثت عن كيفية بدئها ونموها وأسباب انتشارها وبينت آراء العلماء فيها ورجحت المناسب في الموضوع وتكلمت عن خطرها وأثرها السلبي على الاسلام . وربطت الموضوع بتفسير الخازن بخصوص هذه الاسرائيليات ، وذكرت أقطاب الاسرائيليات الذين نقل عنهم والذين تأثر بهم ، وبينت أثر نقل هذه الاسرائيليات في تفسيره وما سببته لمن ضرر ، ونقلت أقوال الذين حاولوا أن ينفروا الناس عن تفسيره ويحولوا بينه وبين الناس وردت شبههم وخلصت من خلال الموضوعية في البحث بأن طبيعة الاسرائيليات التي أوردها كانت من النوع الذى لا يؤثر على عقيدة المسلم وبخاصة فيما يختص بعصمة الأنبياء وصفات الملائكة وقد سيتهم وعرضت لطريقته في ايراد الاسرائيليات ، وان كان هذا ليس مسوغا لذكرها .

الفصل العاشر : في موقفه من الأحاديث وبينت فيه منهجه الذى وضعه لنفسه وقيمة عمله النافع فيما يختص بتخريج الأحاديث وحذف الأسانيد وما قام به من شرح للأحاديث وبيان غريبها ، وقد أخذت على الخازن أنه لم يخرج جميع الأحاديث التي ألزم نفسه بها مما جعلني ألزم نفسي بتخريج الأحاديث التي فات الخازن تخريجها وقد بلغت هذه الأحاديث ما يقرب من ثمانين حديثا .

الفصل الحادي عشر : آراؤه في علوم القرآن في تفسيره ودرست هذه المباحث التي تركزت في :

١ . أول ما نزل وآخر ما نزل .
٢ . المكي والمدني .
٣ . أسباب النزول .
٤ . الناسخ والمنسوخ .
٥ . اعجاز القرآن في تفسيره .

وتوصلت فيها الى أن الخازن كان يذكر الأقوال تارة دون ترجيح ويرجح تارة أخرى وأظهرت رأيه في اعجاز القرآن .

الباب الثالث : وفيه أربعة فصول

الفصل الأول : منهجه بين مناهج المفسرين وتوصلت فيه الى أن الخازن رغم مشاركته لمعظم المفسرين في اتجاهات التفسير المختلفة الا أن الرجل كان صاحب منهج خاص مميز التزم به وسار عليه وهو المنهج الوعظي القصصي وبينت أسباب ذلك وعرضت للمظاهر الوعظية المختلفة التي سلكها في تفسيره .

الفصل الثاني : في التزامه بالأصول المقررة لدى علماء التفسير وهي :

١ . الأخذ بقول النبي صلى الله عليه وسلم .
٢ . الأخذ بقول الصحابي والتابعي .
٣ . الأخذ بمطلق اللغة .
٤ . عمله بالمقتضى والمقتضب من قوة الشرع .

وتوصلت الى أن الخازن عمل بهذه الأصول المقررة لدى العلماء وشفعتها بشواهد من تفسيره .

الفصل الثالث : مدى صلته بتفسير البغوى : وبينت فيه أن الخازن التزم بمسلك ومنهج البغوى الا أنه احتفظ بشخصية مميزة له من خلال ما عرض وبما استدركه على البغوى .

الفصل الرابع : في مميزات وخصائص هذا التفسير والمآخذ عليه : وقد استخلصت فيه المميزات العلمية من خلال الفصول والأبواب التي تكلمت فيها وبينت أهم المآخذ التي أخذت عليه في تفسيره .

وأما الخاتمة فقد ضمنتها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث ومن تلك المسيرة المباركة التي سرتها مع هذا التفسير . كما ذكرت فيها بعض الاقتراحات التي أرجو أن تتحقق وكان ذلك كله بايجاز وخلصت الى أنه تفسير قيم لا يستغنى عنه لما فيه من فوائد لكافة المستويات العامة والخاصة .

وقد اعترض سبيلي بعض الصعوبات وأهمها قلة الدراسات الحديثة فيما يتعلق بالخازن وحياته وتفسيره ، أما حياة الخازن فقد اكتنفها غموض وبخاصه أنه عاش في فترة مليئة بالحروب المدمرة ، وأما تفسيره فلم نجد من يقوم بدراسته دراسة وافية باستثناء ما عرضت له عفاف عبد الغفور أثناء بحثها المعروف " البغوى ومنهجه في التفسير " .

وبعد ، فهذا جهدى المتواضع في هذه الدراسة أتقدم به للباحثين والمتخصصين في مناهج المفسرين ، فان أصبت فهذا من فضل الله ومنه عليّ راجيا اياه نصيبي من الأجر ، وان كانت الأخرى فذاك مني ومن الشيطان فعسى أن يدركني برحمته انه نعم المولى ونعم النصير .

وأخيرا لا يسعني الا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من أسدى اليّ عونا في دراستي هذه ، وبخاصة المشرف على رسالتي فضيلة الشيخ الدكتور فضل عباس الذى وسعني بعلمه ورحابه صدره للمضي في عملي هذا ، كما أتوجه لأساتذتي الاجلاء العاملين بقسم أصول الدين الذين لم يبخلوا عليّ بعلمهم كلما كنت في حاجة الى ذلك . ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ونافعا للمسلمين ، وأن يجعله في صحيفتي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

صدقي سليم ابو غلوس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــد

فـــي

تطور التفسيـــــــــر

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى اساليبهم ، في وقت بلغت اللغة ذروتها بمعانيها والفاظها وفصاحتها وبلاغتها ، مما جعل القوم يتأثـــرون بآياته مسلمهم وكافرهم ، وخبر الوليد بن المغيرة وقصة عمر بن الخطاب خيـر شاهد لما نقول ، وجاء القرآن الكريم — باعتباره كتاباً سماوياً — بمصطلحـات جديدة من حيث تعليماته وتشريعاته ، وقصصه واحكامه ، واحتوى المجمـل والمتشابه وغير ذلك من الامور التي لا تظهر لهم الا بعد البحث والنظر ،

من هنا كانت الحاجة ماسة الى التفسير في تلك الحقبة التي نزلـت فيها آي الذكر الحكيم . وخير مبين لكتاب الله عز وجل منزله لأنه اعلـم بمقاصده ومعانيه .

"" ثم ان علينا بيانه""(١) ومن هنا كان خير التفسير تفسير القرآن بعضه بعضا ، ويأتي بعد ذلك تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث رحمـة للعالمين وجاء مبينا عن ربه " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهـم ولعلهم يتفكرون""(٢) ثم انتقل التفسير الى الصحابة بعد انتقال الرسول الـى الرفيق الاعلى فالتابعين ثم دون التفسير . ولا بد من استعراض التفسير فـي مراحله المختلفة الى عصر الخـازن .

التفسير قبل التدويـن

تفسير القرآن بالقـرآن :

ان أحسن الطرق في التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن ، ذلـك ان الناظر في القرآن يجد انه نزل على العرب بلغة عربية وجاء موافقا ومسايـرا للحاجات البشرية وفيه الايجاز والاطناب ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين ، وما اجمل في مكان فانه قد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسـط

---

(١) القيامة آية / ١٩
(٢) النحل آية / ٤٤

في موضع آخر ، وما اطلق في مكان فقد قيد في موضع آخر ، والناظر في كتاب الله يجد هذه الحقيقة واضحة في كثير من الآيات القرآنية ، لأن الذي انزل القرآن هو أعلم بمقاصده ومعانيه ولا اختلاف " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (١)

ونظرة فاحصة في كتاب الله نجد مصداق ذلك في آيات كثيرة اذا ضم بعضها الى البعض الآخر أوصلت الى المعنى الصحيح لأن القرآن وحدة متكاملة ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في سورة نوح " وقد خلقكم اطوارا "(٢) فسرت هذه الاطوار سورة المؤمنون " ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين "(٣) . وما ورد في سورة البقرة " فتلقى آدم من ربه كلمات " فسرتها آية الاعراف " قالا ربنا ظلمنا انفسنا "(٥)

ومن تفسير القرآن بالقرآن قصص الانبياء عليهم السلام جاءت مختصرة في مواضع من القرآن ومفصلة في مواضع اخرى كما في قصة موسى وفرعون وغيرها .

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل المطلق على المقيد فالرقبة التي ذكرتها سورة المجادلة مطلقة "" فتحرير رقبة ""(٦) قيدتها سورة النساء "" فتحرير رقبة مؤمنة ""(٧) .

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل العام على الخاص، مثل قوله تعالى "" من يعمل سوءا يجز به ""(٨) فان ما فيها من عموم خصص بمثل قوله " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير(٩) .

---

(١) النساء آية / ٨٢
(٢) نوح آية / ١٤
(٣) المؤمنون آية/ ١٢ ــ ١٤
(٤) البقرة آية / ٣٧
(٥) الاعراف آية / ٢٣
(٦) المجادلة آية / ٣
(٧) النساء آية / ٩٢
(٨) النساء آية / ١٢٣
(٩) الشورى آية ٣٠

واذا رجعنا للآيات التي فيها " يسألونك " أو " يستفتونك " في القرآن وفهمناها على حقيقتها رأينا ان الله تبارك وتعالى **أراد** منها بيان امور وتفسير احكام فمنها ما ورد في قوله تعالى "" ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء ""(١) فالذى يتلى هو قوله "" وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء "(٢) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرشد الصحابة الى فهم القرآن من القرآن من ذلك سؤالهم لما نزل " ولم يلبسوا ايمانهم بظلم "(٣) قال الصحابة : يارسول الله ، اينا لم يظلم نفسه ؟ فأرشدهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى آية أخرى ليزيل ماالتبس عليهم ، فقال : " ليس الذى تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح لابنه "" يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم "(٤) انما ذلك الشرك .(٥)

وهكذا كان تبيين الله لكتابه وصدق الله "" كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (٦) .

تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد تفسير الله تبارك وتعالى يأتي تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم الذى جاء مبلغا عن ربه "" وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون "(٧) وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ""(٨) وبذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم خير مرجع

---

(١) النساء آية / ١٢٧

(٢) النساء آية/ ٣، وانظر صحيح البخارى جـ٤ ص١٦٦٨ـ١٦٦٩، ضبطه ورقمه وشرح الفاظه ووضع فهارسه الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار القلم، دمشق/ بيروت

(٣) الانعام آية/ ٨٢

(٤) لقمان آية/ ١٣

(٥) صحيح البخارى ج ٤، ص١٦٩٤ ، والاتقان للسيوطي ، جـ٢ ، ص٢٤٨، وباسفله اعجاز القرآن طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(٦) المائدة آية / ٨٩ ،وانظر مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ، ص٩٣، تحقيق عدنان زرزور ، التفسير والمفسرون للذهبي ، جـ١ ص١٧ فما بعدها طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة . ، اتجاهات التفسير في العصر الحديث ـ د . فضل حسن عباس، رسالة دكتوراة ، جـ ١ ص٦ ، ٧ ، قصة التفسير احمد الشرباصي ، ص٤٣ ـ ٤٤ ، طبعة دار الجيل ، بيروت . التفسير ، محسن وقحطان ، ص ٨ ـ ٩ طبعة دار المعرفة .

(٧) النحل آية / ٤٤ (٨) النحل آية / ٦٤

المسلمين فيما يشكل عليهم بعد القرآن الكريم ، وكثيرا ما كان الرسول يجيب عندما يسأل ، ذلك لأن السنة تكفلت ببيانه لأنه جزء من مهمتها ، وأى تفسير للقرآن يخالف السنة ويتعارض معها فهو تفسير لا يقبله العلماء ، ويعد مخالفة بصريح القرآن " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم "(١)

وقد أفردت كتب السنة ابوابا للتفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك : ما أخرجه احمد والترمذى وغيرهما عن عدى بن حبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان المغضوب عليهم هم اليهود ، وان الضالين النصارى " .

واخرج الترمذى وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الصلاة الوسطى صلاة العصر " .

واخرج مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة — ألا وان القوة الرمي .

واخرج الترمذى وغيره عن علي قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال : يوم النحر " .

واخرج احمد والشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذّب " قلت : أليس يقول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ قال : " ليس ذلك بالحساب ، ولكن ذلك العرض " .

هذا وقد اثبت صاحب الاتقان جملة من هذه الاحاديث في آخر كتابه (٢) .

وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لكتاب الله كان في غالب الاحوال لا يخرج عن بيان سبب نزول ، أو تخصيص عام ، أو بيان مجمل وايضاح مبهم ، أو نسخ وغير ذلك كتمثلا الصلاة والزكاة والحج والصوم واحكام المعاملات وغيرها جاءت مجملة في القرآن فتولى الرسول صلى الله عليه وسلم تفصيل جزئياتها .

(١) الاحزاب آية / ٣٦ ، وانظر المعجزة لابي زهرة ص٥٥٨ فما بعدها ، طبعة دار الفكر العربي .

(٢) الاتقان ، جـ ٢ ص٢٤٤ فما بعدها .

فالتفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان له مصدران : القرآن والسنة ، فالقرآن كان يفسر بعضه بعضا ، وليس معنى ذلك ان القرآن فسر جميع القرآن الا ان السنة فسرت بعض الجوانب منه ، وعلى هذا لا نصيب للاجتهاد في هذا العصر (١)

التفسير في عهد الصحابة :

بقي الصحابة متهيبين من التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مع ما كانوا يملكون من فصاحة البيان والتذوق العميق لنصوص كتاب الله ، وكانوا يهرعون الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يشكل عليهم فهمه ، وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى تفرق الصحابة في الامصار والبلدان بسبب الفتوحات ، وتداخلت اللهجات واختلطت الاجناس والالوان بدخول الكثير في الدين مما جعل الحاجة الى التفسير ماسة .

وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرون القرآن متبعين طريقته ونهجه في التفسير فكانوا من يعده يبينون الاحكام ، ويروون السنة المخصصة للعام والمقيدة للمطلق ، وكانوا اعلم بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغير ذلك .

وتفسير الصحابة رضوان الله عليهم لها من الاهمية في الكشف عن المراد من هذه الآيات ما يجعلنا نطمئن الى فهمهم لهذه الآيات ، ولا غرابة فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا عنه بالمشافهة ، وأنزل القرآن فيهم مقررا الاحكام لانهم أصحاب الحوادث والوقائع فكانوا بحق اعلم الناس بعد رسول الله بكتاب الله وسنة رسوله .

وتفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع وقيده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه ، والا فهو من

---

(١) اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، جـ١ ص١٠ ، التفسير والمفسرون ، جـ١ ص٤٥ فما بعدها ، التفسير ، ٩ — ١١ ، مقدمة في التفسير ، ٩٣ — ٩٤ قصة التفسير ٤٥ فما بعدها .

(تعدوا) من قوله تعالى : (وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت) .

النساء/ ١٥٤

قرأ " ورش " : (لا تَعَدَّوا) بفتح العين وتشديد الدال ، على أن الأصل : لا تعتدوا ، فألقيت حركة التاء على العين ، وأدغمت التاء فى الدال .(١)

" وقرأ " قالون " بإخفاء حركة العين وتشديد الدال ، والنص بالإسكان (٢) وأصله أيضاً لا تعتدوا .

وقرأ الباقون من السبعة (٣) : (لا تَعْدُوا) باسكان العين وتخفيف الدال من عدا يَعْدُو (٤) ، وقال تعالى : (إذ يَعْدُون فى السبت) (٥) (*)

---

(١) وذلك لتجانسهما حيث أنهما متفقان فى المخرج وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ، ويشتركان فى الصفات الآتية : الشدة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات . (الرائد فى تجويد القرآن ٤٤ ، ٥٢) .

(٢) روى العراقيون عن قالون القراءة بالاسكان ، وهي قراءة أبى جعفر وروى المغاربة عنه الاختلاس وهو الاخفاء فرارا من الجمع بين الساكنين ، وبناء عليه يكون لقالون قراءتان صحيحتان هما : الاسكان والاختلاس .

(٣) وافقهم : يعقوب وخلف البزار .

(٤) العدو هو التجاوز ومنافاة الالتئام ، يقال عدا يعدو عَدْوا وعَدَّوا وعُدوانا وعَداء : إذا ظلم وتجاوز الحد ، واعتدى وتعدى مثله . (المفردات / ٤٨٩ ، والمصباح المنير / ٣٩٧) .

(٥) الأعراف / ١٦٤ .

(*) انظر : البحر ٣/ ٣٨٨ ، والحجة لابن خالوية / ١٢٨ ، والتيسير ٩٨ ، والنشر ٢/ ٢٥٣ ، والاتحاف / ١٩٦ ، والمغني فى التوجيه ١/ ٤٢٣ .

(بل طبع) من قوله تعالى : (بل طبع الله عليها بكفرهم) .

النساء/ ١٥٥

قرأ " حمزة ، والكسائي " [1] بادغام لام (بل) فى طاء (طبع) [2]

وقرأ باقي السبعة بالاظهار [3] (*)

(سنؤتيهم) من قوله تعالى : (أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) .

النساء/ ١٦٢

قرأ حمزة [4] : (سيؤتيهم) بالياء عودا على قوله : (والمؤمنون بالله) [5] .

وقرأ باقي السبعة [6] : بالنون على الالتفات [7] ومناسبـــــــة

---

(١) بخلف عن حمزة من روايتيه ، وقد وافقهما هشام بخلف عنه .

(٢) وذلك لتقاربهما فى المخرج ،إذ تخرج اللام من أدنى حافتـــي اللسان إلى منتهى طرفه ، وتخرج الطاء من طرف اللسان وأصـــول الثنايا العليا ، ويشتركان فى صفةالجهر .

(٣) وافقهم الثلاثة : أبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف البزار .

(*) انظر : البحر ٣/ ٣٨٨ ، والنشر ٢/ ٧ ، وشرح الطيبة/ ١٢٨ ، والاتحاف / ١٩٦ ، والمهذب ١/ ١٧٦ .

(٤) وافقه خلف البزار ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود علـــى الله تعالى .

(٥) فى الآية نفسها : (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) .

(٦) وافقهم : أبو جعفر ويعقوب .

(٧) من الغيبة إلى التكلم ، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن يعود على الله تعالى ، المذكور فى الآية نفسها فى قوله (والمؤمنون بالله..)

(وأعتدنا) (١) (*)

(زبورا) من قلوله تعالى : (وآتينا دَاوُدَ زَبُوراً)

النساء/ ١٦٣

قرأ الجمهور : (زَبورا) بفتح الزاى أى كتابا ، وكل كتـــاب يسمى زبورا ، وغلب على الكتاب الذى أوحاه الله إلى داود ، وهو فعول بمعنى مفعول كالحلوب والركوب ولا يطرد .

وقرأ " حمزة " (زُبُوراً) بضم الزاى . (٢)

قال أبو البقاء (ت ٦١٦ هـ) : وفيه وجهان :

أحدهما : أنه مصدر كالقعود يسمى به الكتاب المنزل على داود .

والثاني : أنه جمع زبور على حذف الزائد وهو الواو . (٣)

وقال أبو علي : كما قالوا : طِرِّيق وطَروق وكَروان وكِرْوان ووَرَشَـان ووِرْشَان (٤) ، مما يجمع بحذف الزيادة ، ويقوى هذا التوجيه أن التكسير

---

(١) فى قوله تعالى فى الآية السابقة : (وأعتدنا للكافرين منهم عذابـا أليما) /١٦١ .

(*) انظر : البحر ٣/٣٩٧ ، والتيسير /٩٨ ، والارشاد/٢٩٢ ، والنشر ٢/٢٥٣ ، والاتحاف/١٩٦ ، والمغني فى التوجيه ١/٤٢٥ .

(٢) وافقه خلف البزار .

(٣) التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/٤٠٩ .

(٤) الطِرِّيق كسِكِّيت : ذكر الكروان ، ولم أعثر على ضبط جمعه على طَروق ، ولعله بفتح الطاء وتشديد الراء .
والكَرَوان : طائر يشبه البط ، يجمع على كِرْوان بكسر الكاف وسكـــون الراء ، قال ابن سيده : لم يعرف سيبوية فى جمع الكَـــــروان إلا كِرْواناً .

==

* في البحر ٣/١٩٢ و الكشف ١/٤٠٠ : طريق وطروق (البحث)